

تفسير البحر المحيط

@ 455 @ العدل والسواء من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة ، وهنا جاءت في معرض ترك العداوات والاحن ، فبدء فيها بالقيام □ تعالى أولاً لأنه أردع للمؤمنين ، ثم أردف بالشهادة بالعدل فالتى في معرض المحبة والمحاباة بدء فيه بما هو أكد وهو القسط ، وفي معرض العداوة والشنآن بدء فيها بالقيام □ ، فناسب كل معرض بما جاء به إليه . وأيضاً فتقدم هناك حديث النشور والإعراض وقوله : { وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا } وقوله : { فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ مَا أَنْ } فناسب ذكر تقديم القسط ، وهنا تأخر ذكر العداوة فناسب أن يجاورها ذكر القسط ، وتعدية يجرمنكم بعلی إلا أن يضمن معنى ما يتعدى بها ، وهو خلاف الأصل . .

{ تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى } أي : العدل نهاهم أولاً أن تحملهم الضغائن على ترك العدل ثم أمرهم ثانياً تأكيداً ، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله : هو أقرب للتقوى ، أي : أدخل في مناسبتها ، أو أقرب لكونه لطفاً فيها . وفي الآية تنبيه على مراعاة حق المؤمنين في العدل ، إذ كان تعالى قد أمر بالعدل مع الكافرين . .

{ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } لما كان الشنآن محله القلب وهو الحامل على ترك العدل أمر بالتقوى ، وأتى بصفة خبير ومعناها عليم ، ولكنها تختص بما لطف إدراكه ، فناسب هذه الصفة أن ينبه بها على الصفة القلبية . . { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * لَسَمَاءٌ * ذُكِّرَ * تَعَالَى * تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ * وَلَوْلَا رِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُمِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَعِيَّتَيْنِ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْوَلَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنْ هَآذِلَ لَهْوَ الْغَفْوِزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلٍ هَآذِلٍ فَلَا يَعْزِمِلِ الْعَمَلُونَ * أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنْ شَاءَ جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنْ شَاءَ شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا كَلَؤُنَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَیْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ * وَلَقَدْ ضَلَّ قَبِيلَهُمْ أَكْثَرُ الْوَالِينَ * }

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُنْذِرِينَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ
فَلَنَدْعُهُمُ الْمُجْسِبُونَ * وَزَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَاهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ *
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ *
سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ { كَأَنَّهُ قِيلَ : وَعَدَهُمُ هَذَا الْقَوْلُ ، وَإِذَا وَعَدَهُمْ مَنْ
لَا يَخْلِفُ الْيَمْعَادُ فَقَدْ وَعَدَهُمْ مَضْمُونَهُ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ ، وَهَذَا الْقَوْلُ يَتْلُقُونَهُ عِنْدَ
اتْلَمُوتِ وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَيَسْرُونَ وَيَسْتَرِيحُونَ إِلَيْهِ ، وَتَهْوَنُ عَلَيْهِمُ السَّكَرَاتُ وَالْأَهْوَالُ قَبْلَ
الْوُصُولِ إِلَى التَّرَابِ انْتَهَى . وَهِيَ تَقَادِيرُ مُحْتَمَلَةٍ ، وَالْأَوَّلُ أَوْجَهٌ . } وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ { لَمَّا ذَكَرَ مَا
لَمَنَ آمَنَ ، ذَكَرَ مَا لَمَنَ كَفَرَ . وَفِي الْمُؤْمِنِينَ جَاءَتِ الْجُمْلَةُ فَعَلِيَّةٌ مُتَضَمِّنَةٌ الْوَعْدَ بِالْمَاضِي الَّذِي
هُوَ دَلِيلٌ عَلَى الْوُقُوعِ ، فَأَنْفُسُهُمْ مُتَشَوِّقَةٌ لِمَا وَعَدُوا بِهِ ، مُتَشَوِّفَةٌ إِلَيْهِ مَبْتَهَجَةٌ طَوَّلَ الْحَيَاةَ
بِهَذَا الْوَعْدِ الصَّادِقِ . وَفِي الْكَافِرِينَ جَاءَتِ الْجُمْلَةُ إِسْمِيَّةٌ دَالَّةٌ عَلَى ثُبُوتِ هَذَا الْحُكْمِ لَهُمْ ،
وَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ، فَهُمْ دَائِمُونَ فِي عَذَابٍ ، إِذْ حُتِمَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ، وَلَمْ يَأْتِ
بِصُورَةِ الْوَعْدِ ، فَكَانَ يَكُونُ الرَّجَاءُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ . .
{ الْجَحِيمِ }